

كتاب: مقدمة في العلاج الجمعي " من ذكاء الجماد إلى رحاب المطلق (1)

الفصل السادس: من " العزلة وتشكيلات الارتباط الثنائي " إلى تخليق الوعي الجمعي (2)



yehiatrakhawy@hotmail.com

نشرة " الإنسان " 2020/11/22

السنة الرابعة عشرة - العدد: 4830

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

مقدمة:

استكمالاً لما جاء في نشرة الأسبوع الماضي، وخاصة في الجدول الجامع الصعب المكتف - الذي ننصح أن يكون في المتناول أثناء قراءة نشرة اليوم، على الأقل في نصفها الأول - جاءت تعليقات وتساؤلات أرجو أن تجد بعض إجابتها في نشرة اليوم.

أولاً:

لا يمكن وضع حد فاصل بين أنواع هذه الترابطات وبعضها البعض، ففي حين تتصف أحياء بذاتها بنوع خاص من الترابط، فإن الإنسان الذي يحمل تاريخ كل الأنواع، وتتكرر دوراته نموه (تطوره) خلال عمره كله، وهو يمر بكل تنوعات نضجها، هو كائن جدير وجاهز أن ينتقل من نوع من الترابط إلى آخر، تبعاً لحيوية تجربته، وتفتح مسار نموه، أعني نموها، كل على حدة، و"معاً"

ثانياً:

فقد يبدأ الارتباط طفلياً، أو حتى تهلكة (أموت فيك وتموت فياً) حتى إذا استنفذ أغراضه يفوق أحد الطرفين أو كلاهما فيصبح تعايشياً أو حتى تكافلياً.

والعكس صحيح، فقد يبدأ تكافلياً لنفع الاثنين كل على مساره، ثم يُنهك أو يُستهلك، أو ينتهي عمره الافتراضي نتيجة سوء تعهده، فينقلب طفلياً: حين تتسحب المرأة - مثلاً - من المجتمع الأوسع، من العمل، من الناس، تلقائياً أو بفعل فاعل، فتتنازل عن استقلالها، أو حين يُنهك الرجل أو يكسر لسبب ما، فيترجع عن مسيرته لتبناه المرأة: معتمداً تماماً فيصبح طفلياً عليها، وهكذا... إلخ

ثالثاً:

إن الانتقال من نوع إلى آخر لا يسير في خطى تصعيدية أو تراجعية خطية، وإنما هو يتذبذب تطوراً أو نكوصاً حسب المراحل، وحسب تأثير عامل الزمن سلباً وإيجاباً، وحسب الوسط المحيط، وحسب الظروف الضاغطة وبقدر الفرص المتاحة وتنوعها.

رابعاً:

إن فرص التحول من نوع من الترابط إلى آخر تظل متاحة باستمرار، وفي نفس الوقت هي تتأثر ببرامج التطور الملائمة، وبتقافة المجتمع المحيط وأيديولوجياته وقيوده، ومساحة الحرية، والسماح بالتغيير وفرص الإبداع (إبداع الذات خاصة).

خامساً:

إن علامات فشل نوع من هذه الترابطات تُعلنُ بأشكال مختلفة، ليست قاصرة على إعلان الاختلافات الزوجية (أو الثنائية) بالطريقة المباشرة، فقد تظهر في شكل عَرَضِ نفسى أو مرض نفسى، أو جسدى، أو ربما يعلن الفشل من خلال تغيير مُنذر في أى من مجالات التواصل بينهما (التواصل الجسدى أو الفكرى أو الوجدانى أو كل ذلك ... إلخ) كما قد يتجلى أو يتفاقم الخلاف مع ظهور سلوك مُبَاعِد في

في حين تتصفه أحياء بذاتها بنوع خاص من الترابط، فإن الإنسان الذي يحمل تاريخ كل الأنواع، وتتكرر دوراته نموه (تطوره) خلال عمره كله، وهو يمر بكل تنوعات نضجها

فقد يبدأ الارتباط طفلياً، أو حتى تهلكة (أموت فيك وتموت فياً) حتى إذا استنفذ أغراضه يفوق أحد الطرفين أو كلاهما فيصبح تعايشياً أو حتى تكافلياً.

العكس صحيح، فقد يبدأ تكافلياً لنفع الاثنين كل على مساره، ثم يُنهك أو يُستهلك، أو ينتهي عمره الافتراضي نتيجة سوء تعهده، فينقلب طفلياً

إن الانتقال من نوع إلى آخر لا يسير في خطى تصعيدية أو تراجعية خطية، وإنما هو يتذبذب تطوراً أو نكوصاً حسب المراحل، وحسب تأثير عامل الزمن سلباً وإيجاباً، وحسب الوسط المحيط، وبقدر الفرص المتاحة وتنوعها.

إن فرص التحول من نوع من الترابط إلى آخر تظل متاحة باستمرار، وفي نفس الوقت هي تتأثر ببرامج التطور

ذاته، أو تداخل بديل يحرك مستوى آخر من التواصل لأحد الطرفين يبعده عن شريكه بشكل مباشر أو غير مباشر.

سادساً:

إن ظهور أى من إنذارات أو أعراض فشل أى نوع من هذه الأنواع يعتبر فرصة "مفترقية" (على مفترق الطرق) لإعادة النظر، ومن ثم إمكانية التقدم نحو نوع أكثر إيجابية وأطول عمراً، أو قد يحدث أنه بإعلان الفشل تماما ربما تظهر لأى طرف من الاثنین أو لكليهما فرص أخرى بشكل أو بآخر، فيبدأ مسيرة أنجح.

سابعاً:

إن المطلوب ليس هو الإصرار على أن تكون البداية جيدة (تكافلية مثلاً) من أول الطريق، لأن ذلك أمر دونه توافر مقومات التكافل الحقيقية لضمان ممارسة بناءه على أرض الواقع، وإنما نلقت النظر إلى أهمية الحركة والمرونة إلى ما هو أبقي مهما كانت البداية.

ثامناً:

إن أية بداية - مع ضمان حركية التطور من حيث المبدأ - بأى نوع من الترابط قد تتيح فرصة لتطوير العلاقة (بعد، ومن خلال، أزمت نمو العلاقة، ونمو الطرفين أيضاً) إلى نوع أفضل وأفضل نحو التكامل...

تاسعاً:

إن احترام مسيرة الواقع من خلال الممارسة المفتوحة لكل الاحتمالات هو الذى يسمح لدورات النمو والتصحيح بإعطاء أكبر فرصة لحركية النمو بالمراجعة والتصحيح الفعلى.

عاشرأ:

إن هذه كلها فروض قابلة للمناقشة والاختبار، وربما احتجنا لکی نقبلها أو نستوعبها أن نرجع نتعلم من حوارات الوعى فى العلاج الجمعى مما يعيننا على ذلك:

من التعدد إلى التكامل "معاً": مفتوح النهاية

كثيراً ما تكون البداية فى العلاج الجمعى ليست من صعوبات أو مضاعفات العلاقة الثنائية، وإنما من الانغلاق الأساسى على الذات فى الحوصلة الشيزيدية، (الشكل) وفى هذه الحال قد تنتقل المسيرة عبر أى من الصعوبات الثنائية أو تتجاوزها مباشرة إلى الإسهام فى تكوين الوعى الجمعى بأقل حاجة إلى الوقوف طويلاً فى المرحلة الثنائية، حسب تطور كل حالة، وتطور المجموعة.

انتبهنا إلى أن الفكرة المركزية فى ممارستنا للعلاج الجمعى تتبع من فروض تعدد كيانات الوجود البشرى فى الفرد الواحد، وذلك فى طريقها المفتوح النهاية إلى الوحدية، وأن هذا يتحقق أكثر، وينشط علاجياً من خلال تقنيات تتناول هذه المسألة بحرفية لعدد من المرضى (أو البشر عموماً) بحيث يتخلق من معيهم معاً وعياً جماعياً يحتوى التعدد نحو كلٍ يتوحد، وفى نفس الوقت تنشط مسيرة النمو للأفراد فى محيط هذا الوعى الجمعى.

وفيما يلي نقدم جذور انتماتنا لفكرة منذ ظهرت:

الوحدة والتعدد فى الكيان البشرى (2)

دراسة الإنسان شديدة الصعوبة، شديدة الخطر، فهى شديدة الصعوبة منهجاً، شديدة الخطر جوهرًا وعواقباً، وحين أقول "دراسة الإنسان" فأنا إنما أعنى دراسته:

(1) كيانا،

(2) وجوهراً،

(3) وتركيباً،

(4) وسلوكاً،

(5) ووعياً،

(6) وجزءاً من كلٍ أكبر.

الملائمة، وثقافة المجتمع المحيط وأيديولوجياته وقيوده، ومساحة الحرية، والسماع بالتغيير وفرض الإبداع (إبداع الذات خاصة).

إن علامات فشل نوع من هذه الترابطات تُعلنُ بأشكال مختلفة، ليست قاصرة على إعلان الاختلافات الزوجية (أو الثنائية) بالطريقة المباشرة، فقد تظهر فى شكل حُرُصٍ نفسى أو مرضٍ نفسى، أو جسدى، أو ربما يعلن الفشل من خلال تغيّر مُنذرٍ فى أى من مجالات التواصل بينهما

إن المطلوب ليس هو الإصرار على أن تكون البداية جيدة (تكافلية مثلاً) من أول الطريق، لأن ذلك أمر دونه توافر مقومات التكافل الحقيقية لضمان ممارسة بناءه على أرض الواقع

إن احترام مسيرة الواقع من خلال الممارسة المفتوحة لكل الاحتمالات هو الذى يسمح لدورات النمو والتصحيح بإعطاء أكبر فرصة لحركية النمو بالمراجعة والتصحيح الفعلى.

كثيراً ما تكون البداية فى العلاج الجمعى ليست من صعوبات أو مضاعفات العلاقة الثنائية، وإنما من الانغلاق الأساسى على الذات فى الحوصلة الشيزيدية

انتبهنا إلى أن الفكرة المركزية فى ممارستنا للعلاج الجمعى تتبع من فروض تعدد كيانات الوجود البشرى فى الفرد الواحد، وذلك فى طريقها المفتوح النهاية إلى الوحدية

دراسة الإنسان شديدة الصعوبة، شديدة الخطر، فهى شديدة الصعوبة منهجاً، شديدة الخطر جوهرًا وعواقباً

إن إشاعة دراسة الإنسان كانت -وما زالت- تخضع لعوامل عديدة تكاد تبعدنا عن حقيقتها، وفيما يلي عرض بعض التصور المرتبطة بهذه المحاولات:

1- الإنسان هو الشيء” الممكن دراسته“ أعنى أن الظاهرة الإنسانية قد تختزل الى ما يقع في قدرة أدوات الدراسة ومدى المنهج المستعمل، فإذا قصر المنهج عن رؤية بُدِّ ما في الوجود البشري فالحل هو إهمال هذا البعد واعتباره غير موجود أصلاً ضمن الظاهر الانسانية، وهذا موقف متواضع عاجز، ورغم أنه عملي ومنطقي، إلا أن الحماس ضاعف من عملية الإنكار هذه حتى أصبح الإنسان مجموعة ظواهر قابلة للقياس والفحص حتى ولو لم يكن كذلك فقط، أو لم يكن كذلك أصلاً.

2- ثم تأتي في الطرف الآخر دراسة الانسان من منطلق محتوياته: الانسان هو مجموع ما يحوى من مخزون وطاقة يحددان سلوكه ومعالمه جميعاً، وتخضع دراسة هذا الذي يحتويه هذا الوعاء لاستنتاجات منطقية وعينات محتملة من هذا المحتوى وتفسيرات رمزية تترجم هذا المحتوى إلى تصور ممكن.

ويتساوى هذان الإتجاهان في أنهما يجعلان الإنسان مجموعة أجزاء، سواء كانت نتاج جزئيات السلوك، أم تراكمات المحتوى فهل هو كذلك؟

3- ثم يقفز مفهوم كلى لاحت معالم واحديته منذ الخمسينات، يتناول الإنسان باعتباره “كيانا كليا واعيا وإراديا“ وقد سمي أغلب المترجمين في هذا الإتجاه باسم شامل غير واضح المعالم وهو “الاتجاه الإنساني“، واستعملوا لغة عامة أقرب الى لغة الشعر متصورين أنهم بذلك قد تخطوا التجزيء والتقنيت، إلا أنهم في حماسهم نحو الكلية ضد الجزئية قد تخطوا أصلاً إحتمال التعدد، وأصبح الانسان لديهم وحدة نامية بشكل متصل، وهم لم يبسطوا الأمر لدرجة التسطیح الذي قد يبدو من ظاهر تقديمي، فالإنسان عندهم كيان مركب شديد التعقيد والتكثيف، لكن تركيز هذا الاتجاه على كلية ووحدة الإنسان يتخطى بشكل ما احتمال تعدد تركيبه ووجوده جميعاً.

فالاتجاهات الثلاثة قد سلّمت بشكل أو بآخر باعتبار الانسان “وحدة“ - من البداية للنهاية - بشكل أو بآخر، وهذا أمر بيدهى بل وضروري لأنه تترتب عليه أمور عملية ووظيفية لا تحتل غير ذلك، فأى فرد كائنا ما كان وبغض النظر عن “ما هو“، هو يقوم من نومه ويغسل وجهه ويذهب الى عمله ويحیی الناس ويكسب قوت يومه ... الى آخره، وعامة الناس لا تقبل في أى شخص كائنا من كان هو، (أو “ما هو“) أن يكون غير ذلك، ولا تستطيع أن تعامله إلا بصفته الواحدية المفردة

إذا ما كان الأمر غير ذلك، فإن الدهشة تبدأ، والأحكام تصدر، فإذا كان “هو“، وأحياناً “ليس هو“ وإنما هو آخر، (وفى الحالين فهو واحد مفرد) قيل أنه متقلب أو غريب الأطوار أو ذو وجهين، وقد يتحلق البعض فيصفونه بالازدواج، فإذا زادت الحذقة وُصف بالانقسام وهلم جرا، وهذه الأوصاف تختلط في أذهان العامة وعلى ألسنتهم، كما أنها تعنى التعدد (أو الازدواج) في أزمان مختلفة وليس في نفس الوقت عادة.

فإذا كان الأمر كذلك عند العامة، فهل يكون هو كذلك عند العلماء؟ حتى هذه المرحلة من التقديم يبدو أنه يمكن أن يكون كذلك أيضاً عند بعض العلماء، إلا أن المتأمل للغة المستعملة في بعض النظريات النفسية سوف يكتشف أن الإشارة ظهرت من قديم تشير إلى احتمال التعدد في الكيان البشري الفرد في آن واحد، رغم ظاهر الوحدة والتفرد:

(أ) ويمكن أن نبدأ بالإشارة الى حدس يونج الأعمق لما هو كيان داخلي سواء في إشارته الى “القناع“ (السلوك الخارجي) في مقابل “الظل“ (الكيان الداخلي) أو إشارته إلى “الأنيميا“ في مقابل “الأنيمس“ (بمعنى وجود الكيان الأنتوي داخل الإنسان الذكر والكيان الذكرى داخل الإنسان الأنثوي)، ثم وهو يشير الى النماذج المتوارثة عبر الأجيال، بل عبر الأحياء “الأركيتايب Archetypes“، كل ذلك إنما يدل على تركيبات تنظيمية متكاملة تمثل كياناً لا أجزاء.

(ب) ثم يأتي بعد ذلك بعض الفكر التحليلي الأحدث ليكلما عن “الأنا الناكص“ و”الأنا المضاد للذة“ (المضاد لليبيدو ego Aintilibidinal، و”الأنا الذى لليبيدو ego Libidinal وكيف أن هذه

الإنسان هو الشيء” الممكن دراسته“ أعنى أن الظاهرة الإنسانية قد تختزل الى ما يقع في قدرة أدوات الدراسة ومدى المنهج المستعمل

الإنسان هو مجموع ما يحوى من مخزون وطاقة يحددان سلوكه ومعالمه جميعاً

مفهوم كلى لاحت معالم واحديته منذ الخمسينات، يتناول الإنسان باعتباره “كيانا كليا واعيا وإراديا“ وقد سمي أغلب المترجمين في هذا الإتجاه باسم شامل غير واضح المعالم وهو “الاتجاه الإنساني“

أى فرد كائنا ما كان وبغض النظر عن “ما هو“، هو يقوم من نومه ويغسل وجهه ويذهب الى عمله ويحیی الناس ويكسب قوت يومه ... الى آخره، وعامة الناس لا تقبل في أى شخص كائنا من كان هو، (أو “ما هو“) أن يكون غير ذلك، ولا تستطيع أن تعامله إلا بصفته الواحدية المفردة

إذا ما كان الأمر غير ذلك، فإن الدهشة تبدأ، والأحكام تصدر، فإذا كان “هو“، وأحياناً “ليس هو“ وإنما هو آخر، (وفى الحالين فهو واحد مفرد) قيل أنه متقلب أو غريب الأطوار أو ذو وجهين، وقد يتحلق البعض فيصفونه بالازدواج، فإذا زادت الحذقة وُصف بالانقسام وهلم جرا.

هذه الأوصاف تختلط في أذهان العامة وعلى ألسنتهم، كما أنها تعنى التعدد (أو الازدواج) في أزمان مختلفة وليس في نفس الوقت واحدة.

أن المتأهل للغة المستعملة
في بعض النظريات النفسية
سوفه يكتشف أن الإشارة
ظهرت من قديم تشير إلى
احتمال التعدد في الكيان
البشري المفرد في آن واحد،
رغم ظاهر الوحدة والتفرد

نبدأ بالإشارة إلى حدس يونغ
الأعمق لما هو كيان داخلي
سواء في إشارته إلى "القناع"
(السلوك الخارجي) في مقابل
"الظل" (الكيان الداخلي)
أو إشارته إلى "الأنهما" في
مقابل "الأنيمس" (بمعنى
وجود الكيان الأثني داخل
الإنسان الذكر والكيان
الذكوري داخل الإنسان
الأنثوي)

يرى إريك بيرن - صاحب
مدرسة التحليل التفاعلاتي -
الإنسان أمامه متعددا بشكل
واضح ومميز، ويعيد -
بتواضع شديد - رسم خريطة
الكيان البشري في صورة
"تثليثية" محددة (الأنا
الوالدي والأنا اليافع -
الناضج - والأنا الطفلي)

ينشئ، "بيرن" نظرية تركيبية
متكاملة تبدأ بالتحليل
التركيبى Structural
Analysis وتمتد إلى
التحليل التفاعلاتي
Transactional
Analysis

ما دام التركيب البشري
متعدد الشخص، فإن
التفاعل بين شخص وآخر ليس
تفاعلا بين شخص واحد وآخر
واحد، بل أنه يجري على
مستويات متعددة في نفس
اللحظة

تنتشر هذه النظرية، ويشاع
استعمالها، ثم يساء استعمالها
لأنها تؤخذ من مدخل التبسيط
والإختزال، أكثر مما تؤخذ من
مدخل التركيب المتداخل

الكيانات التي هي في الداخل لها شخصيتها وصفتها وطلباتها و "حضورها" ومظاهرها الصريحة في
الحلم والجنون، ومظاهرها الخفية الرمزية في العصاب وبعض السوء، وكل ذلك أكثر: بلغة مدرسة
"العلاقة بالموضوع Object Relation Theory"، ثم يأتي بعد ذلك ذكر المواضيع
الداخلية Internal Object لا لتشير إلى محتويات الوعي الإنساني كجزئيات متجمعة أو ذكريات
قابلة للاسترجاع، وإنما لتشير إلى الحياة الداخلية الحاوية للموجودات الكيانية التنظيمية، ورغم تسمية هذه
المدرسة لهذه المحتويات بالمواضيع الداخلية إلا أن المتعمق في المعنى المراد والوظيفة لكل منها سوف
يجد أنها إنما تعنى شخصا بأكملها في داخلنا، لا مجرد مواضيع، إذن فكيفية تواجد هذه الشخص في
الداخل لا ينبغي أن تؤخذ بمعنى "الوعي والمحتوي" لأن الوعي - في حالة الإنسان - هو هو
المحتوى كما سنرى".

(ج) وفي ضربة حدس (وهي في نفس الوقت ضربة حظ، ومأزق وعي) يرى إريك بيرن - صاحب
مدرسة التحليل التفاعلاتي - الإنسان أمامه متعددا بشكل واضح ومميز، ويعيد - بتواضع شديد - رسم
خريطه الكيان البشري في صورة "تثليثية" محددة (الأنا الوالدي والأنا اليافع - الناضج - والأنا الطفلي⁽³⁾)،
كيانات وتنظيمات (لا مجرد أجزاء ودوافع وطاقه محكومة وقوى) تتبادل وتتعاون وتتآفر وتتصارع وتتعدد
وتتمو (في بعضها مع بعض) إلى كيانات أكبر فأكثر وهكذا، وينشئ "بيرن" نظرية تركيبية متكاملة تبدأ
بالتحليل التركيبي Structural Analysis وتمتد إلى التحليل التفاعلاتي Transactional
Analysis الذي يعني ببساطة: أنه ما دام التركيب البشري متعدد الشخص، فإن التفاعل بين شخص
وآخر ليس تفاعلا بين شخص واحد وآخر واحد، بل انه يجري على مستويات متعددة في نفس اللحظة
وتشير هذه المستويات إلى علاقات متبادلة ومتداخلة بين هذه الزحمة من الكيانات بعضها مع بعض،
وهذا ما يحدث كل يوم وكل لحظة في الأحوال العادية في نفس اللحظة وإن كان لا يظهر على السطح
إلا مستوى ظاهر واحد فقط (لناظر غير المدقق طبعا).

وتنتشر هذه النظرية، ويشاع استعمالها، ثم يساء استعمالها لأنها تؤخذ من مدخل التبسيط والإختزال،
أكثر مما تؤخذ من مدخل التركيب المتداخل والمسار النموي المعقد.
ولا تكفي هذه النظرية بالحديث عن هذا "التثليث" للكيان البشري بل تتحدث - دون وضوح كاف -
عما أسمته "وحدات الأنا Ego Units" التي يتركب منها الكيان البشري، والناظر المتخصص إلى ما يعنيه
هذا التعبير يكتشف ان هذه الوحدات ليست إلا كيانات (شخصا) متكاملة متراكمة يتكون منها وبها
الوجود البشري المفرد.

(د) ثم تأتي ممارستنا الإكلينيكية الخاصة تطبيقا منهجيا: وهي أقرب إلى المنهج الفينومينولوجي لهذا
المنطق، فأواجه "الزحمة" المتناهية داخل التركيب البشري في الجنون والحلم والشعر خاصة⁽⁴⁾، وكل
التجارب القريبة والموازية لهذه الخبرات الإنسانية المركبة، وتؤكد لي مشاهداتي ومعايشتي طبيعة هذا
التعدد والتكاتف، وأتبين أن التعلم بالبصم (الطبع Learning by Imprinting (ليس سوى انطباع
كيانات خارجية على الجوهر الإنساني المتلقى النامي، لتشتوعب وتمثل Assimilated فيما بعد، أو
تظل قلقة جاهزة للتعنت في الحلم والشعر والجنون وما إليها.

ولهذا المدخل أهمية خاصة بالنسبة للشخص العادي، كما له مخاطر لا تخفى:
إن تغير النظرة إلى الإنسان كوحدة إستاتيكية (أو حتى ديناميكية) إلى إعتبره "مجمع شخص" يمثل
موجزا للتاريخ ومحتوى العالم في آن واحد، خليف بأن يقلب كثيرا من الموازين السائدة حاليا عن مفهوم
الإنسان ومفهوم الحضارة ومفهوم النمو الفردي ومفهوم التطور البشري جميعا، بما في ذلك من مخاطر
ومفاجآت وفيما يلي بعض الأمثلة:

(أ) ماذا يكون موقف الشخص العادي أمام نفسه؟ صورته لذاته؟ فخره بها؟ تحديده لها؟ لأنه إذا كان
"هو" ليس "هو" بل "هم" أو "نحن" فكيف يتحدد أو يتميز؟ وبأى واحد من "هؤلاء يفخر؟"
(ب) ماذا يكون الموقف من قرارات الشخص لنفسه، وإختياره لفعله؟ من الذي اختار؟ ومن المسئول؟
(وقد يمتد هذا البعد إمتدادا خطرا -ولو من الناحية النظرية- ليشمل المسؤولية الجنائية....، تصور!!)

تؤكد لي مشاهداتي
ومعاشتي طبيعة هذا التعدد
والتكاتف، وأتبين أن التعلم
بالصم (الطبع) Learning
by Imprinting ليس سوى
انطباع كيانك الخارجية على
الجوهر الانساني المتلقى
الناهي، لتستوعب وتمثل
Assimilated فيما بعد،
أو تظل قلقة جاهزة للتعنت
في الحلم والشعر والجنون وما
إليها.

إن تغير النظرة إلى الإنسان
كوحدة إستراتيجية (أو حتى
ديناميكية) إلى إعتباره
”مجمع شخوص“ يمثل موجزا
للتاريخ ومحتوى العالم في آن
واحد، خليك بأن يقلب كثيرا
من الموازين السائدة حاليا
عن مفهوم الإنسان ومفهوم
الحضارة ومفهوم النمو
الفردى ومفهوم التطور
البشرى جميعا

إذا كان القبول بهذا
التعدد هو فتح لباب سلبيات
لا نعرفه الى أين ستؤدى بنا،
أفلا يكون ذلك مبرراً لأن
ننكره ابتداء؟

هنا يبدأ الخطر على العلم
والمعرفة، حين يصعب
الاعتراض بالحقيقة الفعلية أو
المحتملة جداً معتمداً على
آثارها وليس على حقيقتيها
الذاتية

إذا صح أن الكيان البشرى
الفرد هو بالضرورة عدة
شخوص بعضها في بعض، وصح
أن هذا المفهوم هو مفهوم
خطر – من حيث المبدأ –
على حدود الذات وعلى
استمرار النمو وتحديد
المسئولية فلا بد أن حلقة
مفقودة تكمن بين هذا
الذي صح

(ج) كيف نعامل بعضنا بعضاً، وكيف نتفق ونتحاب ونحن قد أصبحنا “حفلة“ موجودات ولسنا إرادة
أفراد؟

ويمكن أن نستطرد في هذه التساؤلات الى مدى بعيد، حتى نستشعر الخطر الأكبر الذى أدى بعضه
الى سوء إستعمال نظرية التحليل التفاعلاتى حتى أصبح المخطيء - كمثل من الحياة العادية - يقول
”لن الله طفلى (Dam my Child)“ يعنى بذلك أن المسئول عن الخطأ أو التقصير هو ذلك
الكيان الطفلى الداخلى يقول ذلك بدلا من أن يتألم من المسئولية هو ككل ، ويتعلم من الخطأ...وقس
على ذلك.

والآن...

إذا كان القبول بهذا التعدد هو فتح لباب سلبيات لا نعرف الى أين ستؤدى بنا، أفلا يكون ذلك مبرراً
لأن ننكره ابتداء؟ وهنا يبدأ الخطر على العلم والمعرفة، حين يصبح الاعتراف بالحقيقة الفعلية أو
المحتملة جداً معتمداً على آثارها وليس على حقيقتها الذاتية، فاذا صح أن الكيان البشرى الفرد هو
بالضرورة عدة شخوص بعضها في بعض، وصح أن هذا المفهوم هو مفهوم خطر – من حيث المبدأ –
على حدود الذات وعلى استمرار النمو وتحديد المسئولية فلا بد أن حلقة مفقودة تكمن بين هذا الذى
صح، وذاك الذى صح بما أن الكائن البشرى قد أثبت بالتاريخ ثبات خطاه نحو التقدم، واستمرار بقائه
برغم قوى الانقراض المحيطة والملاحقة وهنا يبدأ البحث الجاد بكل ما يصحبه من معاناة عن تلك الحلقة
المفقودة.

فما الحل إذا؟

الحل الأسهل هو أن نسارع فننكر هذا التعدد ونقصره على درجته القصوى من التناثر فى الجنون
وخاصة ”جنون الفصام“ تحت عناوين نفسراضية مثل ”فقد أبعاد الذات، Loss of Ego
Bounderies وتعدد الكيانات، وتساوى التكافؤ“ وأمثال هذه المصطلحات التى تشير إلى أن التعدد ما
هو إلا مرض بالضرورة؟

ولكن ماذا عن الحلم ؟ هذه الشخوص التى تظهر فى الحلم أليست كيانات متعنتة من الوحدة ظاهرة
التماسك فى اليقظة؟ أليست هى جزء من تكويننا الداخلى حيث المحتوى هو الوعاء ذاته كما ذكرنا؟
قد يأتى الرد أنها ليست سوى ذكريات مسجلة قد يسمح لها بالإستعادة بشكل خاص فى غياب وعى
اليقظة أثناء النوم، لكن الدراسات العميقة والمتأنية تكشف أن:

“الحلم فعلٌ كيانى” نوابى تنظيمى مستقل وليس تكراراً ذهنياً مسطحاً، وأنه إعادة خلاقة وليس
استعادة متناثرة فقط، وأن وظيفته تشكيلية تمثيلية Assimilative “وليس مجرد وظيفة تفرغية ترويحوية!
فأين نخفى كل هذه المعطيات هرباً من مواجهة حقيقة تعددنا؟

ثم يأتى الشعر ليعرى كيان الشاعر (الانسان) الذى يصب وجوده فى ألفاظ لها كيانها الجديد ووظائفها
الجديدة. اذ ترسم الصور الجديدة فى تشكيل الإيقاع الجديد، يعلن الشاعر هذا التعدد مباشرة ويحاول بكل
وسيلة فنيه أن يؤلف بين تراكيبه وشخصه، فتنتطق من تحت عبائه الكيانات قادمة من كهوف
التاريخ، وتناقضات الحاضر، متجهة إلى صنع الولاى الأعلى فى توليد الآلهة فى طريقها الى الآله
الواحد الأحد، وليس هذا مجال أمثلة أو تفاصيل، إلا أنى أعلن فى هذا الإستطراد أن هذا هو المدخل
الأصعب لاستيعاب الشعر واستقبال رسائله المكثفة، ولكن الذى يهمنا هنا هو دلالة هذا التعدد والتناقض
والتكثيف والقدرة على التحول (مثلاً) ”... التى تجعل من حضور مهيار ذاته عند أدونيس نفيًا واثباتًا،
خلقاً وتدميراً فى نفس الوقت (5)“ وهذا التعدد الذى يشمل الذات والطبيعة وما بعدها فى حركة ذاتية نحو
إعادة التنظيم وتنظيم اللقاءات فى الكيان المتخلق الجديد... يجدها كل قارئ يقظ شجاع فى كل شعر
حقيقى. (6)

هنا يجدر بنا أن نتوقف لنحل هذا التناقض الظاهر:

1- الانسان متعدد فى كيان ظاهرى واحد.

2- التعدد خطر وقد يفتح أبواب السلبية والتناثر ما لم يواصل التقدم.

- 3- الإنسان مستمر، حالة كونه يتقدم مضطرد النمو.
 4- الإنسان يتطور ويرتقى ويبقى من خلال كل ذلك "معا".
 5- الإنسان تتجمع وحداته حول تخليق واحدة لا تكتمل ولا تهمد.
 6- الإنسان يعاود هذه الدورات باستمرار.

الخلاصة

الإنسان جَماع حركة غائية إلى توحد واعد مفتوح النهاية إليه!
 فهل يواكب العلاج النفسي، والعلاج الجمعي خاصة هذا الاحتمال ويدعمه؟
 هذا ما سوف نتدارسه فيما يأتي!.

"العلم فعلٌ كيانى" نوابى
 تنظيمى مستقل وليس تكراراً
 ذهنياً مسطحا، وأنه إعادة
 خلافة وليس استعادة متناثرة
 فقط، وأن وظيفته تشكيليه
 "تمثيلية" Assimilative
 وليس مجرد وظيفة تفريغية
 تروبية!

الإنسان متعدد فى كيان
 ظاهرى واحد.

التعدد خطر وقد يفتح
 أبواب السلبية والتناثر ما لم
 يواصل التقدم.

الإنسان مستمر، حالة كونه
 يتقدم مضطرد النمو.

الإنسان يتطور ويرتقى ويبقى
 من خلال كل ذلك "معا".

الإنسان تتجمع وحداته حول
 تخليق واحدة لا تكتمل ولا
 تهمد.

الإنسان يعاود هذه الدورات
 باستمرار.

الإنسان جَماع حركة غائية إلى
 توحد واعد مفتوح النهاية إليه!
 فهل يواكب العلاج النفسى،
 والعلاج الجمعي خاصة هذا
 الاحتمال ويدعمه؟

- [1] يحيى الرخاوى (مقدمة فى العلاج الجمعى (1) من
 ذكاء الجماد إلى رحاب المطلق) (الطبعة الأولى 1978)،
 (والطبعة الثانية 2019) منشورات جمعية الطب النفسى
 التطورى، والكتاب متاح فى مكتبة الأنجلو المصرية وفى
 منفذ مستشفى دار المقطم للصححة النفسية شارع 10، وفى
 مركز الرخاوى: 24 شارع 18 من شارع 9 مدينة المقطم، كما
 يوجد أيضا بموقع المؤلف www.rakhawy.net وهذا هو
 الرابط.

- [2] يحيى الرخاوى، مجلة الإنسان والتطور الفصليّة -
 عدد أكتوبر 1981 www.rakahwy.net
 - [3] وتطورت أفكاره حتى راح يصف تعددا أكثر أسماه
 "وحدات الأنا Ego Units بلا حصر وليس فقط حالات الأنا
 الثلاث.
 - [4] كما فى فنون أخرى لا مجال للتطرق، وكذا فى التصوف،
 الذى لم أذكره الآن لأنه خبرة معقدة تجمع هذه الأطراف
 جميعا، وهى غير قابلة للدراسة العادية بشكل مباشر بحيث
 لا يفيد الإستشهاد بها هنا.
 - [5] أقنعة الشعر المعاصر: مهيار الدمشقى (جابر
 عصفور) مجلة فصول (يوليو 1981) السنة الأولى المجلد
 الأول - العدد الرابع.
 - [6] ومثال عابر - خشية الإستطراد- يقول: " فينيق مت،
 فينيق ولتبدأ بك الحرائق، لتبدأ الشقائق" أو "مزدوج
 أنا، مثلث" ... (نفس الشاعر فى نفس المقال.)

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD221120.pdf>

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقبيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsfound.com>

الكتاب السنوي 2020 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الصدار الثامن)

الشبكة تدخل عامها 20 من التأسيس و 18 على الوجود

20 عاما من الضجج... 18 عاما من الإنجازات

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

اشتراكات العضوية بمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

اشتراكات العضوية

عضوية "الشريك الفخري الماسي المميز"

عضوية "الشريك الفخري الماسي"

عضوية "الشريك الشرفي الذهبي"

اهداء العضوية

- عضوية " الشريك الراحل في العلم " (عضوية فخوية)

- عضوية "الشريك المُمَيِّز " (عضوية الشرفية)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

*** **

المجلة العربية " نفسانيات "

مجلة محكمة في علوم وطب النفس

على المتجر الإلكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=24&controller=category&id_lang=3

على شبكة العلوم النفسية العربية

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm>

على الفايس بوك

<https://www.facebook.com/Ajpsn/>

*** **

بوسترامجلة العربية " نفسانيات "

<http://www.arabpsynet.com/AFP-PubBr/APF.NafssaniatPubBr.pdf>

الفصل 2: من الكتاب السنوي الثامن للشبكة " 20 عاما من الكبح ... 18 عاما من الإنجازات "

الإنجاز الثاني: مجلات ودوريات في علوم وطب النفس

تحميل من " شبكة العلوم النفسية العربية

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetPart2.pdf>

تحميل من المتجر الإلكتروني لـ " مؤسسة العلوم النفسية العربية

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=290&controller=product&id_lang=3

ملفات الاعداد القادمة

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/Nafssaniat-NextTopics.pdf>

قواعد النشر - المجلة العربية " نفسانيات "

www.arabpsynet.com/apn.journal/APNjournalNotice.htm

العدد 67 (خريف 2020) - عدد ممتاز

الملف : « إتجاهات علم النفس الحديث »

المشرف على الملف: أ.د. مصطفى مشوي (علم النفس - الجزائر / الكويت)

شراء الاصدار الرقمي من العدد 67

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=430&controller=product&id_lang=3

الفهرس والافتتاحية

التحميل من الموقع العلمي: شبكة العلوم النفسية العربية "

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/apnJ67/apnJ67-Content.pdf>

التحميل من المتجر الإلكتروني لـ : مؤسسة العلوم النفسية العربية "

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=429&controller=product&id_lang=3

الملفات

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/apnJ67/apnJ67.HTM>